

أمثال القرآن

الحقائق السامية فى معانيها وأهدافها تأخذ صورتها الرائعة إذا صيغت فى قالب حسى يُقربها إلى الأفهام بقياسها على المعلوم اليقينى ، والتمثيل هو القالب الذى يبرز المعانى فى صورة حية تستقر فى الأذهان ، بتشبيه الغائب بالحاضر ، والمعقول بالمحسوس ، وقياس النظر على النظر ، وكم من معنى جميل أكسبه التمثيل روعة وجمالاً ، فكان ذلك أدعى لتقبل النفس له ، واقتناع العقل به ، وهو من أساليب القرآن الكريم فى ضروب بيانه ونواحي إعجازه .

ومن العلماء من أفرد الأمثال فى القرآن بالتأليف ، ومنهم من عقد لها باباً فى كتاب من كتبه ، فأفردا بالتأليف أبو الحسن الماوردى ^(١) ، وعقد لها باباً السيوطى فى الإتقان ^(٢) وابن القيم فى كتاب أعلام الموقعين ، حيث تتبع أمثال القرآن التى تضمنت تشبيه الشئ بنظيره ، والتسوية بينهما فى الحكم - فبلغت بضعة وأربعين مثلاً .

وذكر الله فى كتابه العزيز أنه يضرب الأمثال : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ، وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ﴾ ^(٤) ، ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٥) وعن على رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله أنزل القرآن أمراً وزاجراً ، وسنة خالية ، ومثلاً مضروباً » ^(٦) .

(١) هو أبو الحسن على بن حبيب الشافعى ، صاحب كتاب « أدب الدنيا والدين » ، وكتاب « الأحكام السلطانية » توفى سنة ٤٥٠ هجرية .

(٣) الحشر : ٢١

(٢) انظر : « الإتقان » (١٣١ / ٢) .

(٦) رواه الترمذى .

(٥) الزمر : ٢٧

(٤) العنكبوت : ٤٣

وكما عَنِ العلماء بأمثال القرآن فإنهم عنوا كذلك بالأمثال النبوية ، وعقد لها أبو عيسى الترمذى باباً فى جامعه أورد فيه أربعين حديثاً ، وقال القاضى أبو بكر بن العربى : « لم أر من أهل الحديث مَنْ صَنَّفَ فأفرد للأمثال باباً غير أبى عيسى ، والله دره ، لقد فتح باباً ، وبني قصراً أو داراً ، ولكنه اختط خطاً صغيراً ، فنحن نقنع به ، ونشكره عليه » .

* * *

تعريف المثل

والأمثال : جمع مثل ، والمثل والمثل (١) والمثل : كالشبه والشبه والشبه لفظاً ومعنى .

والمثل فى الأدب : قول محكى سائر يُقصد به تشبيه حال الذى حُكى فيه بحال الذى قيل لأجله ، أى يشبه مضربه بمورده ، مثل : « رَبُّ رَمِيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ » أى رَبُّ رَمِيَةٍ مَصِيْبَةٍ حَصَلَتْ مِنْ رَامٍ شَأْنُهُ أَنْ يَخْطِئَ ، وأول مَنْ قَالَ هَذَا الْحُكْمَ بْنَ يَغُوثَ النَّقَرَى ، يُضْرَبُ لِلْمَخْطِئِ يَصِيبُ أَحْيَانًا ، وَعَلَى هَذَا فَلَا بَدَلَ لَهُ مِنْ مُورِدٍ يُشَبَّهُ مُضْرِبُهُ بِهِ .

ويُطلق المثل على الحال والقصة العجيبة الشأن ، وبهذا المعنى فُسِّرَ لفظ المثل فى كثير من الآيات ، كقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ، فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ (٢) : أى قصتها وصفتها التى يَتَعَجَّبُ مِنْهَا .

وأشار الزمخشري إلى هذه المعانى الثلاثة فى كشفه فقال : « والمثل فى أصل كلامهم بمعنى المثل والنظير ، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده : مثل ، ولم يضربوا مثلاً ولا رأوه أهلاً للتسيير ولا جديراً بالتداول والقبول إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه » . ثم قال : « وقد استُعير المثل للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة » .

(١) المثل والمثل : الأولى بفتح الميم والثانية بكسرهما .

(٢) انظر : « بلاغة القرآن » للأستاذ محمد الحضر حسين (ص ٢٦) - (والآية من سورة محمد : ١٥) .

وهناك معنى رابع ذهب إليه علماء البيان فى تعريف المثل فهو عندهم : المجاز المركب الذى تكون علاقته المتشابهة متى فشا استعماله ، وأصله الاستعارة التمثيلية ، كقولك للمتروك فى فعل أمر : « مالى أراك تُقدّم رجلاً وتؤخر أخرى » .
وقيل فى ضابط المثل كذلك : إنه إبراز المعنى فى صورة حسية تُكسبه روعة وجمالاً ، والمثل بهذا المعنى لا يُشترط أن يكون له مورد ، كما لا يُشترط أن يكون مجازاً مركباً .

وإذا نظرنا إلى أمثال القرآن التى يذكرها المؤلفون وجدنا أنهم يُوردون الآيات المشتملة على تمثيل حال أمر بحال أمر آخر ، سواء أورد هذا التمثيل بطريق الاستعارة ، أم بطريق التشبيه الصريح ، أو الآيات الدالة على معنى رائع بإيجاز ، أو التى يصح استعمالها فيما يشبه ما وردت فيه ، فإن الله تعالى ابتدأها دون أن يكون لها مورد من قبل .

فأمثال القرآن لا يستقيم حملها على أصلها المعنى اللغوى الذى هو التشبيه والنظير ، ولا يستقيم حملها على ما يُذكر فى كتب اللغة لدى مَنْ أَلْفَى فى الأمثال ، إذ ليست أمثال القرآن أقوالاً استعملت على وجه تشبيه مضربها بموردها ، ولا يستقيم حملها على معنى الأمثال عند علماء البيان فمن أمثال القرآن ما ليس باستعارة وما لم يفسح استعماله ، ولذا كان الضابط الأخير أليق بتعريف المثل فى القرآن : فهو إبراز المعنى فى صورة رائعة موجزة لها وقعها فى النفس ، سواء أكانت تشبيهاً أو قولاً مرسلًا .

فابن القيم يقول فى أمثال القرآن : تشبيه شئ بشئ فى حكمه ، وتقريب المعقول من المحسوس ، أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر ، ويسوق الأمثلة : فتجد أكثرها على طريقة التشبيه الصريح كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ ﴾ (١) ، ومنها ما يجرى على طريقة التشبيه الضمنى ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ

(١) يونس : ٢٤

يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴿١﴾ إِذْ لَيْسَ فِيهِ تَشْبِيهِ صَرِيحٌ ، وَمِنْهَا مَا لَمْ يَشْتَمَلْ عَلَى تَشْبِيهِ وَلَا اسْتِعَارَةٍ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلُ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ ، إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ، ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ (٢) فَقَوْلُهُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا ﴾ . . . قَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ مِثْلًا وَلَيْسَ فِيهِ اسْتِعَارَةٌ وَلَا تَشْبِيهِ .

* * *

أنواع الأمثال في القرآن

الأمثال في القرآن ثلاثة أنواع :

- ١ - الأمثال المصَّرَّحة .
- ٢ - والأمثال الكامنة .
- ٣ - والأمثال المرسلة .

النوع الأول : - الأمثال المصَّرَّحة - : وهى ما صرح فيها بلفظ المثل ، أو ما يدل على التشبيه ، وهى كثيرة فى القرآن نورد منها ما يأتى :

(أ) قوله تعالى فى حق المنافقين : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ * صَمٌّ بِكُمْ عُمى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ * أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ (٣) . . . إلى قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤) .

ففى هذه الآيات ضرب الله للمنافقين مثلين : مثلاً نارياً فى قوله : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ * لما فى النار من مادة النور ، ومثلاً مائياً فى قوله : ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ . . . لما فى الماء من مادة الحياة ، وقد نزل الوحي من السماء

(٢) الحج : ٧٣

(٤) البقرة : ٢٠

(١) الحجرات : ١٢

(٣) البقرة : ١٧ - ١٩

متضمنًا لاستنارة القلوب وحياتها ، وذكر الله حظ المنافقين فى الحالين ، فهم بمنزلة من استوقد نارًا للإضاءة والنفع حيث انتفعوا ماديًا بالدخول فى الإسلام ، ولكن لم يكن له أثر نورى فى قلوبهم ، فذهب الله بما فى النار من الإضاءة : ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ وأبقى ما فيها من الإحراق ، وهذا مثلهم النارى .

وذكر مثلهم المائى فشبههم بحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق فخارت قواه ووضع أصبعيه فى أذنيه وأغمض عينيه خوفًا من صاعقة تصيبه ، لأن القرآن بزواجه وأوامره ونواهيه وخطابه نزل عليهم نزول الصواعق .

(ب) وذكر الله المثلين : المائى والنارى - فى سورة الرعد للحق والباطل . فقال تعالى : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ، وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ، فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ، وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ (١) .

شبه الوحي الذى أنزله من السماء لحياة القلوب بالماء الذى أنزله لحياة الأرض بالنبات ، وشبه القلوب بالأودية ، والسيل إذا جرى فى الأودية احتمل زبدًا وغثاء ، فكذلك الهدى والعلم إذا سرى فى القلوب أثار ما فيها من الشهوات ليذهب بها ، وهذا هو المثل المائى فى قوله : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ وهكذا يضرب الله الحق والباطل .

وذكر المثل النارى فى قوله : ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ﴾ .. فالمعادن من ذهب أو فضة أو نحاس أو حديد عند سبكها تُخرج النار ما فيها من الخبث وتفصله عن الجوهر الذى يُنتفع به فيذهب جُفَاءً ، فكذلك الشهوات يطرحها قلب المؤمن ويجفوها كما يطرح السيل والنار ذلك الزبد وهذا الخبث .

* * *

النوع الثاني من الأمثال : - الأمثال الكامنة - : وهى التى لم يُصرح فيها بلفظ التمثيل ، ولكنها تدل على معان رائعة فى إيجاز ، يكون لها وقعها إذا نُقِلَتْ إلى ما يشبهها ، ويمثلون لهذا النوع بأمثلة منها :

١ - ما فى معنى قولهم : « خير الأمور الوسط » :

(أ) قوله تعالى فى البقرة : ﴿ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ (١) .
(ب) قوله تعالى فى النفقة : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (٢) .

(ج) قوله تعالى فى الصلاة : ﴿ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ (٣) .

(د) قوله تعالى فى الإنفاق : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ (٤) .

٢ - ما فى معنى قولهم : « ليس الخبر كالمعاينة » :

قوله تعالى فى إبراهيم عليه السلام : ﴿ قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنِ ، قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لَّيْطُمَنَّ قَلْبِي ﴾ (٥) .

٣ - ما فى معنى قولهم : « كما تدين تُدان » :

قوله تعالى : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ (٦) .

٤ - ما فى معنى : « لا يُلْدَغُ المؤمن من جحر مرتين » :

قوله تعالى على لسان يعقوب : ﴿ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ (٧) .

* * *

(٣) الإسراء : ١١٠

(٦) النساء : ١٢٣

(٢) الفرقان : ٦٧

(٥) البقرة : ٢٦٠

(١) البقرة : ٦٨

(٤) الإسراء : ٢٩

(٧) يوسف : ٦٤

النوع الثالث : الأمثال المرسلة فى القرآن : وهى جمل أرسلت إرسالاً من غير تصريح بلفظ التشبيه ، فهى آيات جارية مجرى الأمثال .
ومن أمثلة ذلك ما يأتى :

- ١ - ﴿الآن حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ (١) .
- ٢ - ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ (٢) .
- ٣ - ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (٣) .
- ٤ - ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (٤) .
- ٥ - ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَفَرٍّ﴾ (٥) .
- ٦ - ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (٦) .
- ٧ - ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكَلْتِهِ﴾ (٧) .
- ٨ - ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (٨) .
- ٩ - ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٩) .
- ١٠ - ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (١٠) .
- ١١ - ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (١١) .
- ١٢ - ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ (١٢) .
- ١٣ - ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ (١٣) .
- ١٤ - ﴿لَا يَسْتَوِى الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ (١٤) .
- ١٥ - ﴿كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (١٥) .

(١) يوسف : ٥١	(٢) النجم : ٥٨	(٣) يوسف : ٤١
(٤) هود : ٨١	(٥) الأنعام : ٦٧	(٦) فاطر : ٤٣
(٧) الإسراء : ٨٤	(٨) البقرة : ٢١٦	(٩) المدثر : ٣٨
(١٠) الرحمن : ٦٠	(١١) المؤمنون : ٥٣	(١٢) الحج : ٧٣
(١٣) الصافات : ٦١	(١٤) المائدة : ١٠٠	(١٥) البقرة : ٢٤٩

١٦ - ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ (١) .

واختلفوا فى هذا النوع من الآيات الذى يسمونه إرسال المثل ، ما حكم استعماله استعمال الأمثال ؟

فراه بعض أهل العلم خروجاً عن أدب القرآن ، قال الرازى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ (٢) : « جرت عادة الناس بأن يتمثلوا بهذه الآية عند المتاركة ، وذلك غير جائز ، لأنه تعالى ما أنزل القرآن لتمثل به ، بل يتدبر فيه ، ثم يعمل بموجبه » .

ورأى آخرون أنه لا حرج فيما يظهر أن يتمثل الرجل بالقرآن فى مقام الجد ، كأن يأسف أسفاً شديداً لنزول كارثة قد تقطعت أسباب كشفها عن الناس فيقول : ﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ (٣) ، أو يحاوره صاحب مذهب فاسد يحاول استهواءه إلى باطله فيقول : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ والإثم الكبير فى أن يقصد الرجل إلى التظاهر بالبراعة فيتمثل بالقرآن حتى فى مقام الهزل والمزاح (٤) .

* * *

فوائد الأمثال

١ - الأمثال تُبرز المعقول فى صورة المحسوس الذى يلمسه الناس ، فيتقبله العقل لأن المعانى المعقولة لا تستقر فى الذهن إلا إذا صيغت فى صورة حسية قريبة الفهم ، كما ضرب الله مثلاً لحال المنافق رياء ، حيث لا يحصل من إنفاقه على شىء من الثواب ، فقال تعالى : ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ﴾ (٥) .

٢ - وتكشف الأمثال عن الحقائق ، وتعرض الغائب فى معرض الحاضر كقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ (٦) .

(٣) النجم : ٥٨

(٢) الكافرون : ٦

(١) الحشر : ١٤

(٦) البقرة : ٢٧٥

(٥) البقرة : ٢٦٤ . (٤) « بلاغة القرآن » (ص ٣٣) .

٣ - وتجمع الأمثال المعنى الرائع فى عبارة موجزة كالأمثال الكامنة والأمثال المرسلّة فى الآيات الآتية الذكر .

٤ - ويضرب المثل للترغيب فى الممثل حيث يكون الممثل به مما ترغب فيه النفوس ، كما ضرب الله مثلاً لحال المنافق فى سبيل الله حيث يعود عليه الإنفاق بخير كثير ، فقال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ، وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

٥ - ويضرب المثل للتنكير حيث يكون الممثل به مما تكرهه النفوس ، كقوله تعالى فى النهى عن الغيبة : ﴿ وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ (٢) .

٦ - ويضرب المثل للمدح الممثل كقوله تعالى فى الصحابة : ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ، وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ (٣) ، وكذلك حال الصحابة فإنهم كانوا فى بدء الأمر قليلاً ، ثم أخذوا فى النمو حتى استحکم أمرهم ، وامتلأت القلوب إعجاباً بعظمتهم .

٧ - ويضرب المثل حيث يكون للممثل به صفة يستقبحها الناس ، كما ضرب الله مثلاً لحال من آتاه الله كتابه ، فتنكب الطريق عن العمل به ، وانحدر فى الدنيا منغمساً ، فقال تعالى : ﴿ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ، إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ، ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ (٤) .

(٢) الحجرات : ١٢

(٤) الأعراف : ١٧٥ - ١٧٦

(١) البقرة : ٢٦١

(٣) الفتح : ٢٩

٨ - والأمثال أوقع فى النفس ، وأبلغ فى الوعظ ، وأقوى فى الزجر ، وأقوم فى الإقناع ، وقد أكثر الله تعالى الأمثال فى القرآن للتذكرة والعبرة ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (١) ، وقال : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ، وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ﴾ (٢) ، وضربها النبي ﷺ فى حديثه ، واستعان بها الداعون إلى الله فى كل عصر لنصرة الحق وإقامة الحجة ، ويستعين بها المربون ويتخذونها من وسائل الإيضاح والتشويق ، ووسائل التربية فى الترغيب أو التنفير ، فى المدح أو الذم .

* * *

● ضرب الأمثال بالقرآن :

جرت عادة أهل الأدب أن يسوقوا الأمثلة فى مواطن تشبه الأحوال التى قيلت فيها ، وإذا صح هذا فى أقوال الناس التى جرت مجرى المثل ، فإن العلماء يكرهون ضرب الأمثال بالقرآن ، ولا يرون أن يتلو الإنسان آية من آيات الأمثال فى كتاب الله عند شيء يعرض من أمور الدنيا ، حفاظاً على روعة القرآن ، ومكانته فى نفوس المؤمنين ، قال أبو عبيد : « وكذلك الرجل يريد لقاء صاحبه أو يهيم بحاجته ، فيأتيه من غير طلب فيقول كالمأزح : ﴿ جِئْتُ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴾ (٣) فهذا من الاستخفاف بالقرآن » ، ومنه قول ابن شهاب الزهري : « لا تناظر بكتاب الله ولا بسنة رسول الله ﷺ » ، قال أبو عبيد : « يقول : لا تجعل لها نظيراً من القول ولا الفعل » .

* * *

(٣) طه : ٤٠

(٢) العنكبوت : ٤٣

(١) الزمر : ٢٧